حروف حرّة

مجلّة فصلية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد 34، ربيع 2024

ملفّ العدد:

القضيّة الفلسطينية... اليوم وغدا

ملف العدد: القضيّة الفلسطينية... الآن وغدا

تقرؤون في هذا العدد

افتتاحية العدد ص. 3

لماذا لا يمكن أن تنجح دولة فلسطينية منزوعة السلاح؟ مقال لأنشال فوهرا ص. 4-5

ترجمة: حمزة عمر

أحرار العالم ص. 6-7

خالد جبّور

بيني موريس ومولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ص. 8-9

فهمي رمضاني

حرب غزّة في ظلّ مفهوم "السياسة الكبرى" لنيتشه ص. 10-11

مريم مقعدي

أي رؤية للكوني اليوم في ظلّ هذه الإبادة الجماعية؟ ص. 12-13

نور الهدى جلال

تجلّيات الكوني في أدب المقاومة والنّضال بالكلمة: أشعار محمود درويش نموذجا ص. 14-15

فاطمة الحرزلي

حروف حرّة

مجلّة فصلية تصدر عن **جمعية تونس الفتاة**

تأسّست في مارس 2021

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

فهمي رمضاني

مريم مقعدي

التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

AP

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

افتتاحية العدد

في خضمّ المأساة الكبرى التّي تحصل في غزّة على مرأى ومسمع من العالم، ينتابنا شعور بالغ بالعجز. وإذا كان ردّ الفعل الطاغي عند شعوبنا العربية يتسّم بالانفعالية، فإنّنا حاولنا من خلال هذا الملفّ الّذي نقدّمه بعنوان "القضيّة الفلسطينية... الآن وغدا"، أن نتعرّض إلى جوانب مختلفة تتعلّق بحاضر هذه القضيّة ومستقبلها بطريقة تتجاوز لحظة التشنّج غير القادرة على تجاوز مرحلة الصدمة.

يُترجم حمزة عمر مقالا صدر في مجلّة "فورين بوليسي" الأمريكية يتعرّض لمآلات يطرحها عدّة فاعلين على الساحة الدولية حول قيام محتمل لدولة فلسطينية، وهي سيناريوهات لا يدرك عنها الجمهور العربي إلّا النزر اليسير، إذ أنّ الاهتمام يتركّز بشكل شبه كلّي على الوضع الميداني، مع قصور في تناول التطوّر السياسي الذي ينبغي أن يحصل، بداهة، إثر نهاية الحرب. ويقدّم خالد جبّور لمحة عن التغيّر الحاصل في الرأي العام الدولي بفضل التحرّكات المناصرة للقضيّة الفلسطينية. أمّا فهمي رمضاني، فيعرّفنا على التطوّر الذي تشهده الساحة الأكاديمية داخل الكيان الصهيوني من خلال تيّار المؤرّخين الجدد الّذي يعيد النظر في الأحداث التي صاحبت ظهور هذا الكيان.

وتقارب كلّ من مريم مقعدي ونور الهدى جلال الحرب الحالية من زاوية نظر فلسفية تعالج التناقض الصارخ بين رؤية غربية تزعم الكونية وبين تعاملها الفعلي مع مأساة الشعب الفلسطيني. أمّا فاطمة الحرزلي، فهي تعود إلى أشعار محمود درويش لتستنطق الكونيّ فيها.

لا يفوتنا أن ننوّه بجهود "المقهى الفلسفي" الذي ينتظم تحت إشراف الباحثة وصديقة الجمعية خديجة مسعودي بدار الثقافة المغاربية "ابن خلدون" في إثراء هذا الملفّ من خلال المقالات التي خطّها روّاده.

إصدارات الجمعية متوفّرة للتحميل

في صيغة رقمية على الرابط:

https://tounesaf.org/?page_id=27761

لماذا لا يمكن أن تنجح دولة فلسطينية منزوعة السلاح؟

مقال لأنشال فوهرا

بقلم: **حمزة عمر**
رئيس تحرير مجلّة "حروف حرّة"
hamza@tounesaf.org

نُشر هذا المقال بموقع مجلّة "فورين بوليسي" الأمريكية بتاريخ 15 فيفري 2024. نعتقد أنّه من المهمّ للقارئ العربي أن يطّلع على مثل هذه التحاليل نظرا لأنّها تعكس جدلا سائدا في الساحة الدولية بشأن القضية الفلسطينية، وهو جدل لا تعطيه وسائل الإعلام العربية الأهميّة التي يستحقّها.

لطالما عارض رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو مفهوم حلّ الدولتين، لكنّه نادرا ما أبدى معارضته بالشكل الذي يفعله خلال الشهور التي تلت السابع من أكتوبر 2023، تاريخ هجمة حماس على إسرائيل والحرب التي تبعت ذلك في غزّة. مع ذلك، يصرّ الرئيس الأمريكي جو بايدن أنّ هناك سبيلا لدولة فلسطينية مستقلة بالتعاون مع حكومة نتنياهو.

"أعتقد أنّه من الممكن العمل على شيء ما... أعتقد أنّ هناك سُبُلا لإنجاح ذلك"، هذا ما أبلغ به بايدن بعض المراسلين، وهو يتحدّث عن إمكانية عقد صفقة، بعد انتهاء الحرب، تمكّن من إنشاء دولة فلسطينية مع تجاوز اعتراضات الطرف الاسرائيلي.

يبدو أنّ ما يجول في خاطر بايدن هو إقامة دولة فلسطينية تكون في نفس الوقت مستقلّة ومنزوعة السلاح. أشار موقع "أكسيوس" أنّه قد تمّ تكليف مسؤولين بوزارة الخارجية الأمريكية بدراسة ما يُمكن أن تكون عليه دولة فلسطينية منزوعة السلاح "بالاستناد إلى نماذج أخرى من العالم".

يميل المجتمع الدولي أكثر فأكثر إلى هذه الفكرة كحلّ للخروج من المأزق الحالي، وذلك تحديدا بتخفيف المخاوف الأمنية الإسرائيلية، ومنح الفلسطينيين دولة خاصة بهم قصد إنهاء دوامة العنف. قال رئيس الوزراء الأسترالي أنثوني ألبانيز أنّ أستراليا يمكن أن تقبل بدولة فلسطينية إذا كانت "منزوعة السلاح". يبدو كذلك أنّ ذلك يلقى صدى عند فاعلين أساسيين في العالم العربي. خلال ندوة صحفية في شهر نوفمبر 2023، صرّح الرئيس المصري عبد الفتّاح السيسي، بحضور رئيسي وزراء إسبانيا وبلجيكا: "نحن مستعدّون لأن تكون هذه الدولة منزوعة السلاح". السيسي حليف مقرّب من الإمارات والسعودية، وهو ما يُرجّح أن القاهرة سبق أن تشاورت معهما في هذا الشأن.

لكنّ ينبغي عبور حقل ألغام من المصاعب الدبلوماسية لإنجاح هذه الفكرة. لا تُمكن مقارنة أيّ من الدول والأقاليم الحالية التي ليست لديها جيوش بالظروف الفريدة التي يواجهها الإسرائيليون والفلسطينيون، ولا يمكن لأيّ منها أن يكون ببساطة نموذجا مُتّبعا لحلّ مثل هذا النزاع الشائك في إحدى مناطق العالم الأكثر تعقيدا.

هناك حوالي أربعين بلدا وإقليما في العالم دون جيوش فاعلة، وكلّها نسبيا محدودة المساحة وعدد سكانها قليل. العديد منها دُول جُزُرية، مثل غرينادا، المشهورة بصادرتها من جوز الطيب، والدومينيك المعروفة بينابيعها الطبيعية الساخنة وغاباتها الاستوائية. عدد من هذه الدول يحظى بحماية دول أكبر جيّدة التسلّح، كالولايات المتحدة، أو بحماية الناتو، على غرار تلك الموجودة في أوروبا.

لكنّ ليختنشتاين ليس لها جيش وليست عضوا في الناتو. مع ذلك، هي تستفيد، بشكل غير مباشر، من حماية مظلة الناتو.

"إذا وقعت حرب، فهناك العديد من البلدان التي ينبغي اجتيازها أوّلا". هذا ما قاله باسكال شافهاوزر، سفير ليختنشتاين لدى الاتحاد الأوربي، لـ"فورين بوليسي" في مكتبه ببروكسيل. تُنسّق هذه الدولة، التي لا تملك منفذا على البحر والموجودة بين سويسرا والنمسا، جهود حفظ النظام مع جيرانها المباشرين وهي محميّة، ضمنيّا، بجيرانها الأقوى عسكريا، كألمانيا وفرنسا، في المجال الأوسع. يعيش حوالي أربعين ألفا من سكّان ليختنشتاين في مجال مسالم ومزدهر، ولم يجدوا دافعا للرجوع عن القرار الذي أدّى إلى نزع السلاح عن البلاد في 1868.

بيد أنّ الاختلافات بين ليختنشتاين وفلسطين واضحة للعيان. إذا كانت طبيعة ليختنشتاين وجيرانها الذين يماثلونها في الازدهار تدرأ عنها المخاطر الخارجية، فإنّ الأراضي الفلسطينية تحاذي إسرائيل، عدوّها اللدود. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي على فلسطين المستقلة أن تأخذ بعين الاعتبار تدخّلات إيران، التي ستواصل على الأرجح دعم الجماعات المسلّحة غير الحكومية، على غرار حزب الله والحوثيين، في استهدافها لإسرائيل عن طريق الصواريخ، ممّا يهدّد استمرار أيّ اتّفاق.

عادة ما تُمدح كوستاريكا باعتبارها نموذجا للتنمية في منطقة أمريكا اللاتينية. هناك عوامل عديدة لنجاح هذا البلد، وعادة ما يُعتبر نزع السلاح أحدها. في سنة 1948، قامت كوستاريكا بإلغاء الجيش، وعلى عكس بعض جيرانها، فإنها لم تتورّط منذ ذلك التاريخ في انقلابات ولم تشهد استيلاء العسكر بالقوة على الحكم، بل قامت بدلا من ذلك باستثمار المبالغ التي كان من الممكن أن تُخصّص لميزانية الدفاع في التنمية البشرية. لكن على عكس فلسطين، لا أحد من جيران كوستاريكا يحاول اجتياح مجالها أو يوعز بتمرّد عسكري.

بيد أنّ هناك درسا نستفيده من تحولات ديناميكيات الأمن الداخلي في كوستاريكا. في مقال حديث بعنوان "أسطورة نزع السلاح في كوستاريكا" يسلّط ماركوس هوخمولر وماركوس-مايكل مولر الضوء على تصاعد الإجرام هناك، وهناك دعوات إلى منح المزيد من الصلاحيات إلى قوات ضبط نظام عالية التسلّح، على غرار Fuerza Especial Operativa. يبيّن ذلك خطر انتقال هيكل حفظ نظام عادي إلى أن يصير مسلّحا في مرحلة لاحقة.

من ناحية أخرى، تمثّل هايتي حالة كلاسيكيّة تبيّن كيف يُمكن أن تعجز دولة منزوعة السلاح عن مواجهة العصابات

> "يبدو أنّ ما يجول في خاطر بايدن هو إقامة دولة فلسطينية تكون في نفس الوقت مستقلّة ومنزوعة السلاح"

المسلّحة المحلية. وافق مجلس الأمن الدولي مرّة أخرى على إرسال قوات أجنبية لإعانة الحكومة في استرجاع السيطرة على الأحياء والبنى التحتية الأساسية التي وقعت بأيدي العصابات الإجرامية.

إذا لم توافق حماس والفصائل المسلّحة الأخرى في غزّة على نزع سلاحها وإذا لم تكن موافقة على التسوية النهائية، هناك مخاوف مماثلة بشأن استمرار التوتر، لا بين هذه الفصائل وإسرائيل فحسب، بل حتى بينها وبين سلطات دولة فلسطينية مستقلة.

تبيّن حالة تقارب جزر سولومون مع بكين أنّه حتى إن نُزع سلاح دولة، فإنّ قدرتها على اختيار حلفاء عسكريين عدوانيين يمكن أن يغيّر الديناميكيات الأمنية الأوسع نطاقا في منطقة ما. كانت هذه الدولة الموجودة في المحيط الهادي تقع تحت النفوذ الأمني لأستراليا، ولكن في سنة 2023، التقى رئيس الوزراء ماناسيه سوغاراف بنظيره الصيني ووقّعا اتفاقا لدعم التعاون الأمني بما يتيح لبكين أن تدرّب قوات الشرطة.

إنّ الأراضي الفلسطينية مختلفة بشكل كبير عن هذه البلدان، بما أنها تخشى خطرا داهما من جارها المباشر، وتعاني من انقسام بين سكّانها أنفسهم حول ما يمكن أن يشكّل تسوية للنزاع، كما أنها ضحيّة أجندا إيرانية تروم توسيع نفوذها الإقليمي.

من وجهة نظر إسرائيلية، فإنّ الغياب عن الميدان في غزة يمكن أن يؤدّي إلى هجمات مشابهة لتلك التي وقعت في 7 أكتوبر من قبل متمرّدين لا يقرّون حقّ إسرائيل في الوجود.

صرّح اران لرمان، وهو نائب سابق لمستشار الأمن القومي الإسرائيلي، لـ"فورين بوليسي" أنّ إسرائيل قد تقبل بـ "حلّ دولة فاصل ثمانية" ("1.8- state solution") مع تضييقات عديدة تمنع الفلسطينيين من اتّباع سياساتهم المستقلّة في مجال الدفاع.

يقول لرمان: "أولا، ينبغي أن نحافظ على نوع من الرقابة على الحدود لكي نرى من يمكنه الدخول. ثانيا، ينبغي أن تكون لدينا كلمتنا حول عدد ونوع الأسلحة التي يمكن لفلسطين الاحتفاظ بها وحجم قوات الشرطة والأمن التي يمكن أن تكون لها لنتأكد أنه لا يمكن أن تتحول إلى جيش في المستقبل".

بدلا من ذلك، اقترح نتنياهو "دولة منقوصة" وهو ما يشمل قيودا على السيادة وضمانات لإسرائيل تتجاوز نزع السلاح، وهو ما يعتبر الملاحظون أنه أكثر توافقا مع المزاج العام للإسرائيليين.

يتساءل دنيال شوامنثال، مدير المعهد عبر الأطلسي للجنة الأمريكية اليهودية ببروكسل: "هل يباح لدولة فلسطينية أن تقيم اتفاقا عسكريا مع إيران؟ أو هل يمكن لها إقامة تدريبات عسكرية مع حزب الله؟". ويضيف أنه "ينبغي لفلسطين أن تلتزم بعدم عقد اتفاقيات عسكرية مع دول معادية لإسرائيل" على سبيل المثال.

تقول نور عودة، المحللة السياسية الفلسطينية، أنّ السؤال المحوري من وجهة نظر الفلسطينيين لا يتعلق بامتلاك الدولة القادمة لجيش، بل حول الاتفاق النهائي على حدودها.

قالت عودة في حوار هاتفي مع "فورين بوليسي" من رام الله "هل ستكون بانتوستان، أو على حدود 67؟ هذا هو السؤال الأكثر أهمية"، معبّرة عن مخاوف الفلسطينيين بشأن اعتزام إسرائيل الحفاظ على أراض واسعة داخل الضفة الغربية مما يجعل الأراضي الفلسطينية مفتتة. وتضيف عودة "إذا لم تهاجمنا إسرائيل أو تقم باجتياحنا، وإذا ما كانت هناك ضمانات دولية في هذا الصدد، فإنّ امتلاك جيش ليس أولوية فلسطينية حسب رأيي".

لكن لا يتقاسم جميع الفلسطينيين هذا الشعور. يشير شوامنثال أنه حسب استطلاع رأي حديث صادر عن المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، يساند 72 في المائة من الفلسطينية هجمات حماس في السابع من أكتوبر، وهو ما يقول أنه يثبت دعم الفلسطينيين العالي لقيام حركة مسلحة.

اقترح الرئيس المصري السيسي أنه من الممكن الاستجابة للمخاوف الأمنية للإسرائيليين والفلسطينيين إذا ما تم نشر قوة أمنية متعددة الجنسيات لتسهيل الانتقال. كما قال في شهر نوفمبر الفارط: "يمكن أن تكون هناك قوى ضامنة، سواء كانت قوات الناتو أو الأمم المتحدة أو قوات عربية أو أمريكية حتى نضمن الأمن للدولتين، الدولة الفلسطينية الناشئة والدولة الإسرائيلية". يساند بعض المثقفين الإسرائيليين فكرة قوات مفوّضة متعددة الجنسيات، لكنهم يودّون تجربة ذلك في غزة أولا ليتحققوا من إمكانية النجاح.

ويفترض كلّ ذلك بداية قبول نتنياهو، أو أي خليفة له، بإنشاء أيّ دولة فلسطينية على الإطلاق.

"
يساند بعض المثقفين الإسرائيليين فكرة قوات مفوّضة متعددة الجنسيات، لكنهم يودّون تجربة ذلك في غزة أولا
"

أحرار العالم

ترجمة: **خالد جبور**

أستاذ مبرّز في الترجمة

في خضم القصف المُكثّف المتواصل على غزّة، كردّ فعل وحشيّ على ملحمة " طوفان الأقصى"، تتساقطُ أوراقُ التوت تباعا، مُظهِرَةً سوءات عالَمٍ يُنافِقُ نفسَه: يرعى الشرَّ ويقبرُ منابعَ الخير، ويدّعي الديمقراطيةَ وهو في الحقيقة أشدُّ تسلّطا من أنظمة القرون البائدة الفاشية؛ عالَمٌ ينادي بالحرية وهو في الواقع يطوّرُ باستمرار أدوات القمع والاضطهاد... عالَمٌ - باختصار - حركَةُ السّلع عنده أسمى قيمةً من حيَوات آلاف البشر الذين يلقون حتفهم تحت القصف، وسط الحصار.

هذا المناخُ العالميُّ العام يُقوِّضُ الأملَ في عالمٍ أكثرَ إنسانيةً وحفظا لكرامة الإنسان، فيشيعُ إذاك إحباطٌ كونيٌّ عميقٌ تغدو في كنفه كلُّ فكرة عن العالَمِ المنشود - العالَم الذي يجب أن يكون - مجرّدَ حلم طوباويّ يُقابَلُ كلُّ حالمٍ به بالسّخرية اللاذعة التي قد تبلُغ حدَّ الاحتقار.

بيْدَ أنَّ المُتتبِّعَ لهذه اللحظة التاريخيّة التي نعيشها اليومَ يفْطِنُ، إذْ يتأمّلُ الفاعلين فيها، بوجود عنصر فاعل كانت له وما تزال تأثيرات شتّى على المواقف والأفعال وبالتالي على سير الأحداث نحو وقف العنف ونبذه ونحو تشييد ذلك العالَمِ الآمن المنشود. هذا العنصُرُ إنّما هو تِلْكُم الجماهيرُ الهاتفةُ الصّادحةُ بالشّعارات الدّاعمة لفلسطين، والمناهضةُ لحرب الإبادة التي تفتكُ بالشعب الفلسطينيّ الأعزل أمام مرأى العالَم أجمع. ولا ينفي غيرُ جاحدٍ آثارَ فعلِ هذه الجماهير التي هبّت في مُختلِفِ أنحاء المعمورة دعما للحقّ ونُصرةً للحقيقة.

إنّ وَقْعَ تلك الأغنية السويديّة البديعة والتي تُزاوجُ بين " فلسطين " و " الحريّة " لأكبرُ وأشدُّ مِمَّا ينطقُ به " كلابُ حراسة " المشروع الصهيونيّ. ذلك أنّ هذه الأغنيةَ وحدَها قمينةٌ بتحريك الجماهير وشحذ هِمَمِهِم وتحفيز إرادتهم، لنصرة الحقّ ونشدان السّلام. والأجملُ من ذلك أنّك أينما ألقيتَ نظرَك في مواقع التواصل الرقميّ تجدُها حاضرةً ببهائها ونبلها، مُتواشِجةً مع كتلٍ بشريةٍ ضخمة بين أيديها تُرفرفُ أعلامُ فلسطين. ولأنّها مؤثّرةٌ، فإنّه لَمِنَ الطبيعيّ أنْ تثيرَ حركاتٌ كهذه حفيظةَ مناصري مشروع الاحتلال والاستيطان، خصوصا مُلّاك وسائل التواصل تلك. فتراهم يُبرمجون لوغاريتماتهم بشكلٍ يحجبُ كلَّ محتوى يدعمُ فلسطين. غيرَ أنَّ نباهةَ الداعمين وقوةَ إرادة أحرار العالم هي أمورٌ أبانت أنّها أقوى من ذلك التّلاعب الخوّاف بتلك التقنيات. إذْ رغم أنوف مُلّاكها، ما تزال تستعملها الجماهيرُ لتحقيق غايتها: التظاهر وإظهار الموقف المُطالِب بتحقيق سلمٍ مُحصَّن في كنف العدالة المضمونة.

أمّا ثقلُ فعلِ تلك الجماهير وعمقُ آثاره فتظهرُ جليّا في التغيّر الذي شاب مواقفَ معظم قادة الدّول، والذين بدؤوا بالدعم اللامشروط لكيان الاحتلال، فنظروا بعينٍ وأغمضوا الأخرى ليذهلوا عن فظائعه الوحشيّة، ثم ما لبثوا أنْ انتقلوا إلى المنطقة الرمّادية - منطقة الحياد (؟) - قبل أنْ يذهبَ بعضُهم إلى إتّباع نهج المدافعين عن السلم والعدالة. ولنأخذ لتصوير ذلك مثالَ الرئيس الفرنسيّ إمانويل ماكرون. كان موقفُه، مباشرةً بعد عملية "طوفان الأقصى" دعماً لا مشروطا لإسرائيل. بل ذهب حدَّ وسمِ المقاومة الفلسطينية بالإرهاب، ونعتِ عمليتها بـ"الجريمة ضد الإنسانية". وإنَّ هذا الرئيسَ لهو أوّلُ من استعمل صفة "الحيوانات" متحدّثا عن رجال المقاومة، وذلك مباشرة بعدما استعمل الصّفةَ عينَها ببنيامين نتنياهو في أول تصريح بعد 7 أكتوبر. والواقعُ أنَّ ماكرون ومن يسبَح في فلكه إنّما كان ينظرُ إلى الواقع بعينٍ، مغمضا الأخرى كي لا يراه كلَّه! لأنّه إنْ قالَ إنَّ من حقِّ إسرائيل الدفاعَ عن نفسها، فإنه يذهَلُ عن الحقيقة الأولية المسجلة في كراريس منظمة الأمم المتحدة، وهي أن إسرائيل دولةُ احتلالٍ، وبالتالي فإنَّ مسألةَ الحقِّ في الدفاع عن النفس ادّعاءٌ واهٍ.

غيرَ أنَّ هذا التوافقَ المطلقَ في الرأي وهذا الدّعمَ غيرَ المشروطِ للاحتلال لم يدوما طويلا، إذْ سرعان ما انقلب رئيسُ فرنسا (منبعُ الأنوار ومنبثُّ الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان والمواطن -؟-) انقلابا كليّا، فصرنا نسمعه يصرّحُ بأن " الفلسطينيين يعانون بشكل مريع"، وبأنّ " إسرائيل لابد أنْ تسمحَ بدخول المساعدات إلى غزّة"، وأنّ " تدميرَ قدرات حماس هدفٌ صعبٌ بُلوغُه في وقت وجيز"، وبأنّه " لابدّ من وقف إطلاق النار" لأنَّ "أحداث 7 أكتوبر ليست مسوّغا لقصف المدنيين"... إنَّ هذا الانقلابَ في الموقف لهو ثمرةٌ من ثمرات تحرّكات الجماهير في فرنسا ومختلف الدول الأوربيّة. فهي أوضحُ بيانٍ عن شذوذ الموقف السياسيّ الرسميّ عن الإرادة الشعبيّة، وهي خيرُ تذكيرٍ للـ"القادة" بأنَّ العامَ عامُ انتخابات، وأنَّ صوتَهم في الشوارع سيُسمَعُ رسميّا في مكاتب الاقتراع... هكذا صار معظمُ هؤلاء " القادة" يتحرّجون من إفشاء موقفهم الدّاعم للكيان الإسرائيلي، خصوصا إنْ استحضروا في الأذهان صورَة الرئيس الأمريكيّ جو بايدن وهو يُفْحَمُ من طرف المتظاهرين في كنيسة " الأم إيمانويل "AMEفي تشارلستون، كارولينا الجنوبية.

وهذه الجماهيرُ المختلفةُ الجنسيّات والملل والتوجهات خطفت الأضواءَ في لحظة مفصلية مصيرية من لحظات بزوغ القضية الفلسطينية بعدما كانت على وشك أنْ تُقْبَرَ تحت أوهام " صفقة

> "أمّا ثقلُ فعلِ تلك الجماهير وعمقُ آثاره فتظهرُ جليّا في التغيّر الذي شاب مواقفَ معظم قادة الدّول"

مظاهرة مناصرة لفلسطين بباريس
EPA-EFE/CHRISTOPHE PETIT TESSON

القرن". هذه اللحظةُ هي مُثولُ الدولة العبريّة أمامَ محكمة العدل الدوليّة بعد الدعوة التي رفعتها ضدّها جنوبُ إفريقيا. لقد خطفت الجماهيرُ الهولندية – الأوربيّة الأضواءَ وصارت رقماً أساسيا في معادلة هذه المُحاكمة التاريخيّة. فمن نتائج احتجاج أحرار العالم أمام محكمة العدل الدوليّة في لاهاي أنه شكّلَ ضغطا نفسيا مباشرا على القُضاة الذين أُوكِلَ لهم النّظرُ في جريمة الإبادة الجماعيّة التي ما تزال إسرائيل تتفنّنُ في ارتكابها ضد الشعب الفلسطينيّ. ولننظر إلى حال القاضية الأوغندية التي صوّتت لصالح القاتل ضد المقتول، لصالح الجلاّد ضد الضحيّة، ولنتساءل عن حالها كيف تكون وهي ترى صورتَها وتقرأُ اسمَها مُرَفَقَيْن بوسم: " القاضية الأوغندية أكثرُ صهيونيةً من الصهاينة أنفسِهم". جاحدٌ من يقول ألاّ تأثيرَ لذلك !

ولا مبالغةَ في القول إنَّ دعمَ أحرار العالم للقضيّة الفلسطينيّة قدّمَ لهذه القضيّة ما لم تُقَدّمه لها أنظمةٌ سياسيةٌ ومنظّمات أممية (كمنظمة الأمم المتحّدة المكبلة بحق النقض أو" الفيتو"). ذلك أنَّ هذا الدعمَ أخرجَ قضيةَ فلسطين من النطاق الضيّق للصراع العقائديّ، ومن الحيّز المحصور بين الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادي، ليُدْرِجَها ضمن القضايا الإنسانية الكونية الكبرى: قضية صدام محور الشّر والموت بمحور الخير والكرامة ومقاومة نزع طابع الإنسانية عن الإنسان. وغنيٌّ عن البيان أنَّ المظاهرات التي تشهدُها مختلِفُ المدن في أوربا وأمريكا وآسيا وأستراليا وإفريقيا هي، من حيث الكَمّ والكثافة والحماس، أشبهُ ما تكون بتلك التي تندلع دوريًّا دفاعا عن الأرض – العالم ضدَّ مخلّفات الاقتصاد الرأسماليّ المتوحّش الذي يضحي بالحياة على الكوكب في سبيل استمرارية تدفق الرأسمال ونموّه، لمواصلة جني الأرباح ومراكمتها.

وعليه، فالإحباطُ ليس مطلقا، والحقّ لابد أنْ يعلو صوته، والحقيقة لابد أنْ تنجلي كاملة، وإنْ كان التدليسُ مدجّجا بأكثر التقنيات تطوّرا ومدعّما بمليارات الدولارات، طالما في العالم جماهير ترى وتفعلُ، تتقدّمُ دائما إلى الأمام نحو تشييد صرح الحريّة والكرامة للإنسان أينما كان، وباختصار، طالما في العالَمِ أحرار.

فيا أحرار العالم...

"

إنَّ دعمَ أحرار العالم للقضيّة الفلسطينيّة قدّمَ لهذه القضيّة ما لم تُقَدّمه لها أنظمةٌ سياسيةٌ ومنظّمات أممية

"

بيني موريس ومولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

بقلم: **فهمي رمضاني**
أستاذ مبرّز في التاريخ
نائب رئيس جمعية تونس الفتاة
fahmi@tounesaf.org

"

يعد بيني موريس من أشهر وجوه تيار المؤرخين الجدد الذي ظهر في آخر ثمانينات القرن العشرين والذي قام بنقد الروايات الصهيونية ومعظم السرديات التي قامت عليها دولة إسرائيل

"

تعد فكرة التهجير أو "الترانسفير" مسألة مهمة في الفكر الصهيوني باعتبار أن الحركة الصهيونية قد قامت بالأساس على أحقية الشعب اليهودي في امتلاك "إرتس إسرائيل" أو أرض إسرائيل وهو عدم اعتراف ضمني بوجود أي شعب آخر على الأرض الموعودة، لذلك كانت الأوساط الصهيونية تطالب منذ البداية بضرورة تهجير الشعب الفلسطيني أو إبادته حتى تكون أرض إسرائيل أرض خالصة للشعب اليهودي وحده، وقد تم اعتبار ذلك بمثابة الحل الأنجع لما سمي آنذاك "بالمعضلة العربية" أي مشكل وجود أعداد غفيرة من العرب يسكنون تلك الأرض منذ زمن قديم. وتتجلى هذه الأفكار في أدبيات الحركة الصهيونية من تيودور هرتزل مرورا بن غوريون الذي قنن وأسس للترحيل القسري للفلسطينيين وصولا لسموتريتش وبن غفير اليوم.

في هذا الإطار، تعد نكبة 1948 أكبر حدث جسد حلم الحركة الصهيونية في تهجير الفلسطينيين وإبعادهم للدول المجاورة مما جعل من هذا التهجير عاملا مهما في تشتيت الشعب الفلسطيني والاستيلاء على ممتلكاته وابعاده عن أرضه وما رافق ذلك من تدمير وحشي للقرى الفلسطينية وتهويد للتاريخ الفلسطيني وطمس للهوية العربية. ونتيجة لعمليات التهجير وافتكاك الأرض التي تنتهجها الحركة الصهيونية بشكل ممنهج منذ 125 عاما، اضطر سبعة ملايين فلسطيني للعيش كلاجئين خارج أراضيهم. في هذا السياق يعد كتاب "مولد مشكل اللاجئين الفلسطينيين " للمؤرخ الإسرائيلي بيني موريس وثيقة حية تكشف عن تفاصيل عمليات التهجير التي قامت بها الحركة الصهيونية وما تولّد عنها من أزمة النزوح واللجوء الفلسطيني بمراحله المتعددة.

ويعد بيني موريس من أشهر وجوه تيار المؤرخين الجدد الذي ظهر في آخر ثمانينات القرن العشرين والذي قام بنقد الروايات الصهيونية ومعظم السرديات التي قامت عليها دولة إسرائيل. درس بيني موريس التاريخ في الجامعة العبرية في القدس وأنجز أطروحة دكتوراه متعلقة بالعلاقات الإنجليزية الألمانية. اطلع موريس على وثائق هامة في الأرشيف الإسرائيلي مما ساعده على نقد الرواية الإسرائيلية وهو أول من أطلق لفظ المؤرخون الجدد على المؤرخين الذين قاموا بإعادة كتابة التاريخ الإسرائيلي كإيلان بابيه وإيفي شلايم وشلومو صاند.

تتمثل الفكرة الرئيسية التي يكشف عنها هذا الكتاب الضخم في كون التهجير الإسرائيلي للفلسطينيين لم يكن كما تدعي الأوساط الصهيونية طوعيا واستجابة لنداء الجيوش العربية التي شاركت في حرب 1948 وإنما تهجيرا قسريا ومخطط له منذ تأسيس الحركة الصهيونية لذلك جاءت عمليات الطرد مباشرة ومقصودة ومخطط لها حيث يستشهد هنا بأقوال وتصريحات القيادات العليا الصهيونية مثل إسحاق رابين ودافيد بن غوريون.

ويعتبر بيني موريس أن نجاح عمليات التهجير التي قامت بها الحركة الصهيونية قبل وبعد حرب 1948 يعود بالأساس إلى ضعف هيكلة المجتمع العربي الذي غادر معظم أثريائه إلى الخارج بانتظار عودة الهدوء للمكان الأمر الذي جعل الفقراء يواجهون مصيرهم وحدهم على الأرض مع شعور كبير بالانهيار والضعف هذا بالإضافة إلى الرعب الذي نشرته العصابات الصهيونية المسلحة في القرى الفلسطينية بعد نجاحها في إبادة وتدمير مئات القرى وتهجير أهلها وهو ما أعتبره موريس "حملات تخويف ممنهجة " كان هدفها زرع الهلع والخوف في نفوس الفلسطينيين لدفعهم للتخلي عن منازلهم والنزوح نحو الدول المجاورة. ويؤكد موريس في هذا الإطار ان معظم الكتائب الصهيونية قد تلقت تفويضا مطلقا باستخدام العنف وذلك بالعودة إلى معظم الوثائق الارشيفية التي تؤكد تلقي هذه العصابات الضوء الأخضر لقتل الأطفال والنساء بدون رحمة. يوثق لنا المؤرخ كذلك حالات القتل التعسفي والاغتصاب التي ارتكبتها الجماعات الصهيونية على الأراضي الفلسطينية أثناء حرب 1948 مؤكدا أن ذلك قد تم بتواطؤ دولي وصمت عربي رهيب.

يسرد لنا الكتاب فيما بعد أزمة النزوح واللجوء الفلسطيني بمراحله المتعددة وتفاصيله المهمة. يعود بنا موريس إلى جدور فكرة التهجير باعتبارها فلسفة أكد عليها تيودور هرتزل في كتابه دولة اليهود واعتبرها شرطا لإنجاح ولادة الكيان اليهودي وقد أشار الكاتب إلى أهم مكونات فلسفة الترانسفير في الفكر الصهيوني مثل منع العرب من العودة إلى ديارهم في حال تهجيرهم وتدمير أكبر عدد ممكن من القرى في العمليات الحربية ومنع المزارعين من القيام بجني محاصيلهم الزراعية وإصدار القوانين التي تحرمهم من

البناء. يعود الكاتب بعد تحليله لفكرة الترانسفير إلى جذور القضية الفلسطينية من الانتداب البريطاني إلى وعد بلفور وثورة القسام ثم عمليات شراء الأراضي الفلسطينية وما رافق ذلك من بدء لعمليات التهجير القسري في المدن الفلسطينية كحيفا والقدس.

يتحدث الكاتب فيما بعد عن قرار التقسيم الشهير وهو قرار الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة رقم 181 والذي أصدر بتاريخ 29 نوفمبر 1947 وقسم فلسطين إلى 3 كيانات: دولة عربية ودولة يهودية وأراض تحت وصاية دولية. ويعتبر موريس أن هذه المرحلة كانت حاسمة فيما يتعلق بمصير الشعب الفلسطيني حيث أخذت العصابات الصهيونية في الاستعداد لبدء عمليات التهجير وشن الحرب على العرب وقد كان ذلك بمساعدة دولية وأمريكية في فترة كانت فيها اغلب دول العالم العربي لازالت ترزح تحت نير الاستعمار الغربي أو هي دول بصدد التشكل. وهنا يستغرب موريس من صمت الجامعة العربية التي كانت موجودة منذ 1945 ولم تبادر بأخذ قرار حاسم بخدم القضية الفلسطينية وعموما فإن إعلان قيام دولة إسرائيل في 1948 قد أعلن عن استحالة قيام تحرك عربي ذي جدوى.

نتيجة لهذا الضعف العربي والدعم الغربي وجدت إسرائيل نفسها في وضع الهجوم خاصة بعد نهاية حرب 1948 حيث يؤكد الكاتب أن إسرائيل قد نجحت في تدمير 400 قرية وإفراغها من سكانها وبحلول منتصف عام 1949 أضحت أغلبية المدن والقرى الفلسطينية تلك المواقع في حالة دمار كامل أو جزئي وغير صالحة للسكن. وبذلك تكون إسرائيل قد انتصرت على الجيوش العربية وضمنت الأمن والقوة العسكرية من جهة ونجحت في تهجير الفلسطينيين ومحو آثارهم والشروع في تهويد المنطقة من جهة أخرى ولم تقف عند ذلك الحد فقط بل إنها عملت كما يشير المؤلف على تنظيف الحدود الفلسطينية من التجمعات العربية بدءا بالنقب في الجنوب إلى الشرق والشمال.

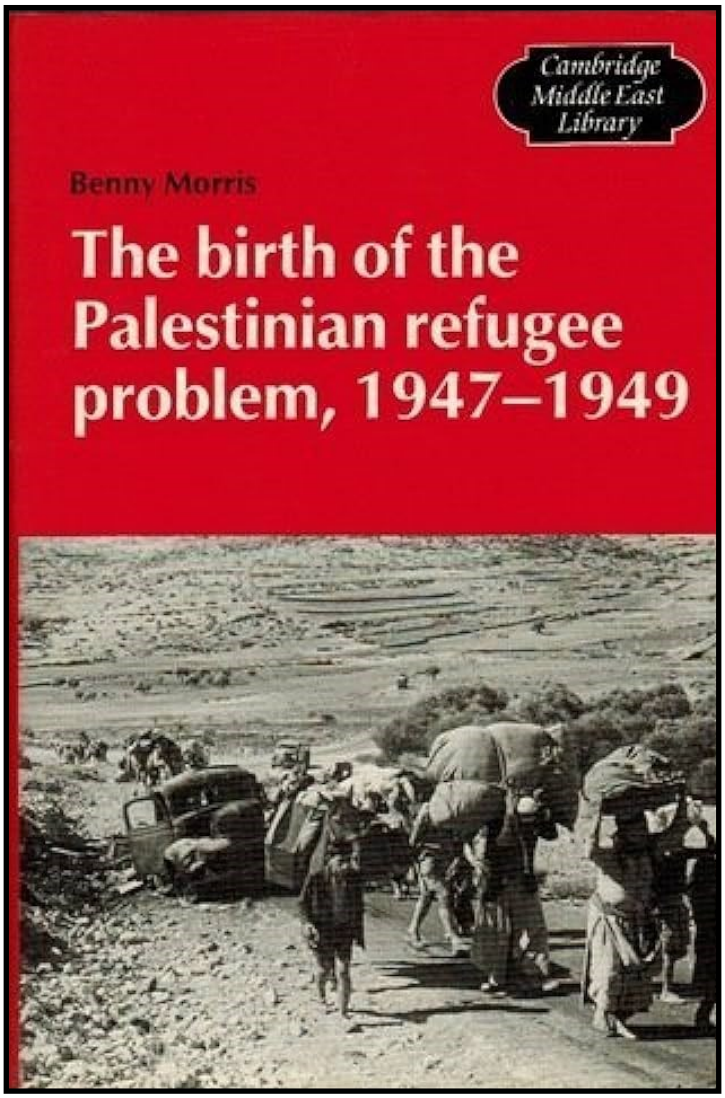

لا يمكن الاستغناء عن هذا الكتاب إذا أردنا فهم قضية اللاجئين الفلسطينيين ليس لكونه قد كشف عن زيف الروايات الصهيونية فقط بل كذلك لاحتوائه على وثائق مصدرية وأرشيفية هامة تدحض مزاعم إسرائيل حول التهجير الذي اعتبرته كان بأمر من الجيوش العربية. يتضمن كذلك الكتاب العراقيل التي وضعتها العصابات الصهيونية لمنع عودة اللاجئين إلى قراهم ومدنهم وفشل الفصائل السياسية الفلسطينية في طرح هذا المشكل في المجتمع الدولي. يعد كذلك هذا الكتاب بحثا في "أماكن الذاكرة" إذ يذكر لنا أسماء قرى فلسطينية تلاشى ذكرها بعد أن أقيمت فوقها مستوطنات إسرائيلية بأسماء بديلة في محاولة لتهويدها.

"
نتيجة لهذا الضعف العربي والدعم الغربي وجدت إسرائيل نفسها في وضع الهجوم خاصة بعد نهاية حرب 1948
"

حرب غزّة في ظلّ مفهوم "السياسة الكبرى" لنيتشه

بقلم: **مريم مقعدي**
مجازة في الفلسفة
الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة
mogadimariem@gmail.com

"

إن ما حدث هو ارتطام العالم الحالي بخريطة سلبية، أين وجدنا أنفسنا في نوع من العطالة أمام كل الحقائق التقليدية ولا سيما تلك التي تتعلق بمبدأ حقوق الإنسان وقيم العيش المشترك

"

يبدو أن ما يحدث اليوم من حروب إبادة وتنكيل ضد غزة وفلسطين، هو الوجه الأشد كارثية لاندثار كل القيم الكونية التي دعا إليها اغلب الفلاسفة الغربيين في العصر الحديث منذ ديكارت حتى يومنا هذا، ذلك أن ما يجري اليوم من فظاعات لا إنسانية في غزة وفي فلسطين قد فاقت عديد الكوارث التي تواترت على البشرية.

تجاه هذا الواقع اللاانساني الذي عبّر عنه هيدغير، في سياق نقده للحداثة والتنوير، "بالسقوط تجاه هذا الراهن الذي" ينذرنا باللاعالم في كل مرة" علينا أن نتساءل: هل أن الانتماء أقوى من الحقيقة؟ بمعنى، هل أن انتماء فيلسوف ما إلى أفق غربي سيشرّع له التغافل عن الحقيقة ويجعله بالتالي يتنكر لكل القيم الكونية الإنسانية التي تصورت اجتماعا واعترافا ممكنا بين الأنا والآخر؟

و هل علينا- نحن الذين ننتمي إلى "جنوب الحداثة"- اليوم أن نؤسس لـ"فلسفة جغرافية" ،أي تلك التي تعنى برسم الحدود بين ما هو لنا وما ليس لنا؟

يبدو أننا اليوم تبينّا، وبشكل واضح، من خلال آراء بعض المفكرين والفلاسفة الغربيين الذين كانوا يدافعون بشراسة عن الكوني وعن المواطن العالمي- هابرماس نموذجا- أن الانتماء أهم من الحقيقة، لأنه الأفق الوحيد الذي تتجلى فيه تلك الأخيرة، وأن الوجود الفعلي يكون في صف الأقوى، بغض النظر إن كان هذا الأخير على صواب أم على خطا. فلا معنى للحقيقة وللإنسانية إذن أمام السياسة، ذلك أن تلك "الإنسانية التي تتألم "- حسب عبارة انطونيو نغري، تعد خارجة عن كل مقاييس الإنسانية، بل على حد عبارة والتر منيولو (أحد كبار أقطاب الفكر الديكولونيالي) الطريفة التي ضمّنها في مقاله **"العصيان المعرفي، التفكير المستقل والحرية الديكولونيالية"** هي تعد خارج "**نادي الكائنات الإنسانية الحقيقية، المعرفة على أساس المعرفة البيضاء والتاريخ الأبيض**"، وعن كل لوائح حقوق الإنسان التي رسمتها القوى الغربية.

إن ما حدث هو ارتطام العالم الحالي بخريطة سلبية، أين وجدنا أنفسنا في نوع من العطالة أمام كل الحقائق التقليدية ولا سيما تلك التي تتعلق بمبدأ حقوق الإنسان وقيم العيش المشترك. فحتى فكرة "المواطن الكوني" أو "المواطن العالمي" الذي يتجاوز كل الانتماءات الضيقة، قد أضحت فكرة جوفاء فارغة من كل معنى. وحده نيتشه كان استثناء في التنبؤ المثير بانهيار مكانة أوروبا مستقبلا وصعود أمريكا نظرا للسياسة الكبرى التي تسلكها. ماذا يعني نيتشه بالسياسة الكبرى ؟ وما رهاناتها ؟

يوجه نيتشه اهتماما مزدوجا لمفهوم " السياسة الكبرى"، فهو من جهة ينقد في كتابه "إنسان مفرط في إنسانيته" الاستعمالات الخاطئة لهذا المفهوم ولا سيما ينقد هذا المفهوم في الاستعمالات المسيحية.

و من جهة أخرى ينقلب إلى منظّر لهذا المفهوم، فيكون مفهوم السياسة الكبرى بذلك نمطا مستقبليا من السياسة يوجه رهانه نحو القادم ويتجاوز كل أشكال"السياسة الصغرى" التي قادت في ظل ما يعرف بالحداثة السياسية إلى انتشار الديمقراطية والاشتراكية وخاصة نموذج "الدولة الأمة" في القرن الثامن عشر.

يقول نيتشه صراحة: **"إني لا أعاني أي صعوبة في أن أكون أوروبيا صالحا... أنا الذي يمثل آخر الألمان المناقضين للسياسة."**إن مفهوم " المواطن الصالح" الذي أمل نيتشه في ظهوره، ليس المواطن المستكين المتشبع بقيم الديمقراطية أو الاشتراكية، وإنما هو إن شئنا القول **"الإنسان الأسمى"** الذي يسعى إلى تجاوز أنقاض الديمقراطية، باعتبار أن الإنسان الديمقراطي يمثل نموذجا "**للإنسان الأخير**" عند نيتشه.. انه تصور استشرافي لنوع خاص من نماذج المواطنة الممكنة.. إنه "**المواطن الكوسموبوليتاني**"، ليس بالشكل الذي نظّر له الرواقيين أو كانط، وإنما هو شكل خاص من الإنسان السياسي الأرقى. فحتى مشروع كانط حول "السلم الدائمة" التي رفضت كل أشكال الصراع والنزاعات، اعتبرها نيتشه وعد شيخوخة هادئة، مثالية لا تحدث في نفوسنا إلا الخوف وتجعلنا نخشى الحرب والصراع، اللذين يعتبرهما نيتشه آلية ضرورة للاستمرار.

يمكن أن نقول في نوع من القلق إذن أن نيتشه بتنظيره للوحدة الأوروبية عبر مفهوم "السياسة الكبرى"، الذي لن يتحقق إلا على أنقاض كل القيم الكونية التي لا تختلف في نظر نيتشه عن الأخلاق المسيحية الضعيفة، قد فتح الطريق أمام السياسات الغربية لفعل الهيمنة والصراع المتواصل، وبالتالي فان ما يعيشه الشعب الفلسطيني اليوم من حروب إبادة وقصف

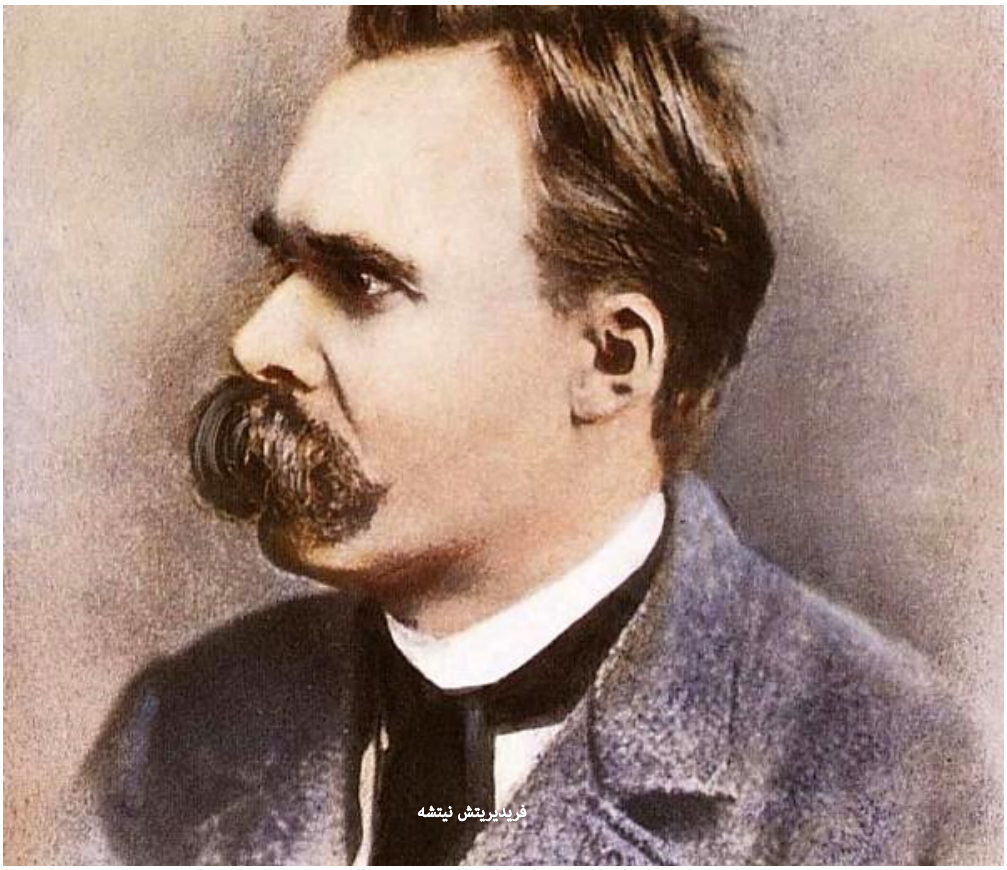
فريدريتش نيتشه

وتهجير كان نتيجة إيمان القوى المهيمنة بحقها المشروع في التوسع وإن كان ذلك على حساب الإنساني وكل ما نظرت إليه من قيم كونية مثالية.

إن شعوبا مثل الشعوب الغربية التي عانت تاريخا طويلا من الاضطهاد والمعارك والصراعات إن كان ذلك على المستوى السياسي أو حتى على المستوى الديني (الحروب بين الكاثوليك والبروتستنت مثلا)، استبطنت بشكل من الأشكال فكرة أنها "الضحية الوحيدة"، وأنها يجب أن تخرج من تلك الصفة عبر فكرة التقدم التي نظر لها اغلب الفلاسفة الغربيين. ثم إن لفظة التقدم هذا لا تعني في حقيقة الأمر مفهوم "الإبداع" مثلما عبرت عن ذلك الفلسفة الرومانسية (هيغل،هيدغير...)، وإنما هو لفظ تنويري بامتياز، أي انه وليد فلسفة الأنوار، التي ما لبثت أن تحولت بدورها في القرن التاسع عشر إلى " استعمار" سياسي ومعرفي وثقافي... . وبهذا المعنى يمكن أن نقول انه لا توجد فلسفة أو تصور بريء للعالم- باعتباره رمزا معبرا عن وحدة الإنسانية- وإنما كل فلسفة تعد منخرطة بشكل من الإشكال في "آلة تحدد البلدان وفقا لجغرافيتها". إذ هناك أيضا قرارات صنعها الإنسان الأوروبي وصدّقها حول نفسه وحول الطبيعة وحول الآخر الذي يمثل بالنسبة إليه بمثابة "**التابع**" فقط. هنا يمكن أن نتساءل: هل من حق التابع أن ينتج الحقيقة؟ أم انه مقصي- من "سياسة الحقيقة" حتى وإن كانت هذه الأخيرة تدور حول نفسه؟ هل من حق الشعب الفلسطيني اليوم أن يصدح عاليا ويؤسس لنمط وجود مستقل؟

قد تكون هذه الإجابة غارقة في الطوباوية- خاصة من قبل الذين يعتبرون أن الأفق الغربي هو الأفق الوحيد الجدير بالانتماء باعتباره أفق التطور والتحضر...- ولكن أظن أن المواطن الفلسطيني اليوم بعد أدرك مكر العقل الغربي ليس لديه ما يخسره فهو إما أن يموت شجاعا مقداما وإما أن يواصل وجوده بنفس ذلك الحس...

"

هناك أيضا قرارات صنعها الإنسان الأوروبي وصدّقها حول نفسه وحول الطبيعة وحول الآخر الذي يمثل بالنسبة إليه بمثابة "التابع" فقط

"

أي رؤية للكوني اليوم في ظلّ هذه الإبادة الجماعية؟*

بقلم: **نور الهدى جلال**

طالبة فلسفة. تكتب نصوصا شعريّة. مهتمّة بالنقد السينمائي.

في مجموعة محاضرات قدّمها تيودور أدرنو بعنوان "مشكلات الفلسفة الأخلاقية " سنة 1963 يقول:" الكوني شيء عنيف ودخيل وليس له وجود ملموس بين البشر."

هل إن الحرب في غزة اليوم تمثل للعالم ذلك الحدث الوجودي العنيف الدي قلب أو هدم كل تلك الشعارات الفضفاضة التي تدعيها الكونية الإنسانية؟ أو هل مازال بإمكاننا حتى الرهان على فعالية مبادئ كونية لا تنتمي لهذا الوعي الغاضب المسمى "الشرق"؟ أو ليست كل تلك القوانين الدولية والمنظمات العالمية للدفاع عن حقوق المهجر والمستعمر والتابع هي تمثيلات سياسية خارجية لذات المركز الصامت الذي سلب حق الكلام وحق تمثيل نفسه وتدشين وجوده؟

لا بُد لنا من إعادة مساءلة كونية المبادئ الإنسانية وكونية الإنساني الأخلاقي ضمن هذا الراهن الشنيع. لأن الفلسفة هي ذلك السؤال المحرج والتفجيري، تلك التضحية المتولدة من متاهة الحرية لجعل الحوار ممكنا الآن وهنا كإحراج وكتوتر محموم وكاستشعار حيوي غرائزي للخطر الكامن في كل ما يمكن أن تألفه الذاكرة والحواس.

إن التطهير العرقي جريمة فاحشة ضد الإنسانية وما يقدم على ارتكابه الكيان الواهم المسمى إسرائيل هو جريمة معلنة ومباشرة يجب أن يحاكم عليها أمام هيئات قضائية خاصة، إضافة إلى أن هذا التطهير العرقي الذي نشهده اليوم في دولة فلسطين ليس غير امتداد تاريخي للتطهير العرقي المرتكب سنة 1948) التهجير الفلسطيني القسري أو النكبة (، ذلك الحدث الذي جرى محوه كليا تقريبا من الذاكرة العامة العالمية حيث يقول ايلان بابه في كتابه "التطهير العرقي في فلسطين": "إن هذا الحدث المصيري، الأكثر أهمية في تاريخ فلسطين الحديث، جرى انكاره بصورة منهجية منذ وقوعه، ولايزال حتى الآن غير معترف به كحقيقة تاريخية ناهيك عن الاعتراف به كجريمة يجب مواجهتها سياسيا وأخلاقيا." إن سردية الإبادة هذه تستمر اليوم ضمن كينونة استعمارية صهيونية هجينة مكونة من ثلاث أنماط رئيسية وهي الكولونيالية والإستيطان والأبارتهايد)نظام الفصل العنصري(. هذه الأنماط لا تتشكل ولا تنطلق في الممارسة النكبوية العملية) نسبة إلى النكبة الفلسطينية(إلا كمنطلقات أيديولوجية قومية عنصرية ذات قدرات لاهوتية معلمنة والتالي فإن ذلك الإعطاب التاريخي الإنساني والمحو الهووي الجغرافي والزماني للشعب الفلسطيني هو نتاج لهذه المنطلقات التي تتبناها الحركة الصهيونية. وبذلك فإن هذه الكينونة الكولونيالية الصهيونية في خضم تنفيذها لهذه المخططات التي تهدف من خلالها إلى إرساء الحلم القومي الصهيوني بدولة إسرائيل جعلت من الآخر "الفلسطيني" الذي يملك الحق الطبيعي في الحياة وفي الاستمرار على أرضه المُستعمر واللاجئ والمشرّد والجريح والأسير والمبعد والمطارد والمصادر جثمانه. ولم تره بمختلف تجليّاته هذه بل لم تعترف به حتى في كونه الآخر الإنساني الأخلاقي الذي يحمل في وجهه الوصية " لا تقتل"، تلك الوصية التي تصرخ بإجبارية العدالة الاجتماعية على حد تعبير ليفيناس في كتابه " الأخلاق والروح" وأخفت إنسانيته ومعاناته ومأساته التاريخية بتغليفه بتصنيفاتها المؤدلجة والمتحيّزة والإثنية على أنه الإرهابي والمخرّب والبربري والهمجي والقاتل والمعاد للسامية والساعي إلى انكار الحق الأخلاقي اليهودي السامي الديني الخلاصي في أرض إسرائيل التوراتية ومنافسة اليهودي الناجي من أهوال الهولوكوست على خطاب الضحية والمظلومية والاضطهاد.

لكن ما يحدث فعلا هو إبادة وحشية وهذه حقيقة وواقعة تاريخية لابد للعقل البشري أن يكلّف نفسه الكثير يوميا لقولها والإشادة بها. فبعد مرور أكثر من 100 يوما على النكبة يمكن تقصي- أكثر 23843قتيل في قطاع غزة و347 آخرين في الضفة الغربية. هذه الإحصائيات ليست نهائية فآلاف آخرون يقصفون ويقتلون وتقع إبادتهم بشكل يومي أمام المنظمات الحقوقية العالمية وعبارات القانون الدولي الجاهزة والمعدّة سلفا للقياس والمقاربة والإدلاء بخطابات ملتبسة تحت غطاء كولونيالي امبريالي صرف.

إن الخطاب الإنسانوي التنويري الذي أسس له الغرب الإمبريالي منذ القرن الثامن عشر يشهد اليوم فشلا معلنًا، حيث لم يعد بإمكانه تغطية جشع وبربرية الغرب والرغبة اللامتناهية في القتل والتدمير والإبادة. إن المعسكر الغربي فشل في تمثيل ذاته أخلاقيا أمام العالم، لقد تفكك البراديغم الأخلاقوي الكانطي وتحول إلى براديغم جيوسياسي لميكافيلية دموية تمارس مجزرتها بكل طواعية دون أي حكم معياري أو أنموذج أخلاقي أو لاهوتي. إن الرأي العام العالمي اليوم، المكوّن من ملايين المدنيين حول العالم، يصرخ في وجه هذه الحكومات الاستعمارية بمطلب أخلاقي موحد حول وقف إطلاق النار ووقف العدوان ووقف الإبادة على الآخر الفلسطيني. هذا المطلب الأخلاقي الصادم يعلن عن أفول الآخر الغربي الإنساني الذي ما زال يسعى إلى صياغة أفق المعنى الخاص بنا "نحن" في المساحة الروحية والجغرافية المسماة الشرق. اليوم، نحن وحدنا المسؤولون عن إعادة تشكيل أفق المعنى الخاص بنا والأقرب إلينا لنسكنه على نحو جماعي لأن تقرير مصيرنا هو الآن بين أيادي المعسكر الغربي الأمريكي-الأوروبي .

إذن إنّ هذا الآخر الذي يسكُن تحت جلودنا والذي لا يمكننا الفكاك منه لا يقدر على سماع وصية "لا تقتل"، فدوي

> *"إنّ هذا الآخر الذي يسكُن تحت جلودنا والذي لا يمكننا الفكاك منه لا يقدر على سماع وصية "لا تقتل"*

الرصاص أصم وهو رصاص وقذائف منظومة القتل المنهج الصهيونية التي تمت تأسيسها من المواد الأولية للكولونيالية المركزة غربيا، وهي السلطة الملازمة للمعرفة، لتنشأ بالنهاية بيروقراطية القتل ضمن نظام مؤسساتي دولاني وقانوني حداثي وعقلاني. وضمن هذه اللحظة نستحضر زيجموت باومان في كتابه " الحداثة والهولوكوست" حيث يقول:" إن المنظومة البيروقراطية تتميز بتضاؤل الاحتمال بأن يكتشف الفاعل الشذوذ الأخلاقي لأفعاله." فقد حل الآخر الغربي البيروقراطي محل الأخلاق بل وأنتج منظومة أخلاقية تسمح بأن يصبح الفلسطيني كائنا مستباحا) Homosacer (بعبارة جورجيو أغامبن قابلا للقتل والاستعباد وبتالي فإن هذا الآخر يريد استبدال الفلسطيني المستباح والحلول محلّه داخل أرضه وضمن سرديته، فلاستبدال هو الشكل الذي يتخذه الاضطهاد تقول جوديث بتلر في كتابها " الذات تصف نفسها " :" إنه شيء ما يضع نفسه مكاني وتنشأ من خلاله أنا لا أستطيع فهم مكانها ."

خلاصة القول إذن، إن هذا الآخر الغربي ينفي عن نفسه مسؤولية تحمل وجودنا كمساحة جغرافية أو الاعتراف بنا ككيان قائم الذات موجود في حدث الكينونة الخاص به ضمن مكان هناك في العالم، إنه يعاملنا على أساس كميات غير موجودة أي غير موجودة داخل نطاق العقل البشري وضمن أفق الكوني الإنساني. لذلك فالكوني اليوم يطرح نفسه كإحراج إذ يظلّ مقيّدا داخل سياق كولونيالي، ومهمتنا اليوم كباحثين وكفلاسفة ومثقفين السعي الحثيث نحو تحرر واع من القوالب والمناهج المعرفية المركزة غربيا وإعادة تفكيك السياق الكولونيالي بتكثيف الدراسات من حوله وإجراء مقاربات مغايرة وتطرح نفسها كبديل ديكولونيالي تحّرري إثرها يمكن استعادة ملامح كونية المبادئ الإنسانية أي إثر ما ينبثق فعل المقاومة كأفق نقدي ثقافي وتأسيسي يضع المحددات الأولى لمعرفة متحررة منتجة لإبستمولوجيا الجنوب على حد تعبير عالم الاجتماع(de Sousa Santos)في مقابل إبستمولوجيا الشمال. ونختم بما يقوله ادوارد سعيد في كتابه صورة المثقف بشأن هذه اللحظة:" بالنسبة إلى الإجماع على هويّة المجموعة أو الهوية القومية، فإنها لمهمة المثقف أن يُبين لماذا أن المجموعة ليست كياناً فطرياً أو كينونة وهبها الله، وإنما هي شيء مبني ومنتج، وحتى مختلف في بعض الحالات، له تاريخ من الصراعات والفتوحات التي ينبغي تمثيلها أيضاً."

** قُدّمت هذه المداخلة في إطار أنشطة "المقهى الفلسفي" بدار الثقافة ابن خلدون المغاربية*

> "ينبثق فعل المقاومة كأفق نقدي ثقافي وتأسيسي يضع المحددات الأولى لمعرفة متحررة منتجة لإبستمولوجيا الجنوب"

تجلّيات الكوني في أدب المقاومة والنّضال بالكلمة: أشعار محمود درويش نموذجا

بقلم: **فاطمة الحرزلي**
باحثة في اللسانيات الحديثة بجامعة منّوبة

مفهوم الكوني مفهوم متشعّب الدلالات، ومشترك بين مختلف الاختصاصات، لذلك رُمنا أن نُنزّله في إطاره المعجمي حيث جاء في لسان العرب أنّ الكون: الحدث، وقد كان كونا وكينونة وهي مصدر مشتق من كان (أي الوجود)، وهو مصطلح فلسفي يتعلق بالكليّة وجمعها كليات يكون بمثابة الحقائق الأوائل التي يشترك فيها الإنسان أينما كان وهو ما من شأنه أن يكون نمطيّا.

وينضوي الكوني تحت المجال القيمي الأخلاقي فتكون بذلك الإنسانية واحدة ممّا يُيسّر العيش المشترك، فالإنساني بذلك يدلّ على الخصائص المشتركة بين الناس تميّزه عن الحيوان كالعقل واللغة... وهذه الأخيرة (اللّغة) تعدّ كلّية مشتركة بين جميع الألسن البشرية وفقا لنظريّة الأوائل الدلالية Les primitifs sémantiquesلصاحبتها آنا ويرزبيكا Anna Wierzbicka ثمة خصائص لسانيّة تنسحب على كل الألسن وهو ما أشار إليه وليام كروفت في كتابه "الأنماطية والكليات" أنّ الأنماطيّة هي مقارنة عابرة بين الألسن على نحو ما بمعنى أنّه ثمة قوالب تُشكّل عليها الألسن وبالتالي تكون كليات لغويّة سمتها التعميم.

فهذه الأوائل هي كليات، وبالتالي يكون الكلي متعارضا مع الجزئي والسطحي والساذج والدغمائي والبراغماتي نحو أفق الوحدة والتعالي. وما يجدر بنا ذكره هو علاقة الكلي بالإنساني الذي يتميّز بالوحدة واللحمة، فهل يمكننا اليوم الحديث عن الكليّ في إطار الحرب على فلسطين المحتلّة وما ينجرّ عنها من مضايقات عشوائية ومجازر أصبحت تُنعت بالإبادة الجماعيّة؟

مفهوم المقاومة

جاء في قواميس اللغة العربية أنّ المقاومة هي المعارضة ورفض الخضوع لإرادة الغير، وهي درء عن النفس من كل الشّرور ومواجهة وعدم الاستسلام ....، وهي صنفان؛ مسلّحة وسلميّة، وهذه الأخيرة هي الصنف الذي سيكون عليه محور حديثنا، وتكون بدورها على ضروب عديدة كالتّظاهر والاعتصام والكتابة أو ما يعرف بالنضال بالكلمة، وتكون مع أرباب الوعي والفكر كالشعراء الغيورين الذين لا تزيدهم أحداث الاحتلال إلا إطلاقا لألسنتهم للصدح بالظلم والاستبداد والتنديد بوحشية المستعمر وإثبات للوجود وللبقاء "ما بقي الزّعتر والزيتون" على حد عبارة محمود درويش الذي يُعدّ أبرز الشعراء الثّوار الأحرار، بل هو شاعر الأرض المحتلّة بلا منازع على حدّ عبارة رجاء النّقاش.

النضال بالكلمة عند درويش

يمثّل محمود درويش وأشعاره مدرسة شعريّة ضمن ما يعرف بأدب المقاومة وهي تسمية أطلقها غسّان كنفاني على أدب فلسطين لأنّه ليس من الهيّن أن تكتب في ظلّ الاستعمار وتكون الكتابة بحجم الإبداع الذي بلغته أشعار درويش وحتى فيما كتب من نثر، وفي هذا الإطار نشير إلى الكلي بماهو مطلب طوباوي يصعب وجوده فيما كتب درويش من شعر وطني متعدد الموضوعات التي تنضوي تحت مفهوم الحرب، كالأسر والردع والتعذيب والتجويع والإقصاء وغيرها، ويتساءل درويش تساؤلا انكاريا عن اشتراك جميع البشر في الأرض الذي يرى أنّ الفلسطيني مقصى منها، وبالتالي لا يمكننا الحديث عن الكوني بما هو مشترك بين جميع الناس المدّعين بذلك، يقول:

وأسأل يا سيداتي
ويا سادتي الطيبين
أأرض البشر لجميع البشر
كما تدّعون

ويرى محمود درويش أنّه في وطنه فاقد للحرية بما هي حق لكل الشعوب وحق لكلّ إنسان على وجه الأرض إلا الفلسطينيّ الذي اعتبره درويش أسيرا داخل وطنه وبالتالي يتلاشى مفهوم الكليّ، يقول في قصيدته "حالة حصار":

هنا
عند منحدرات التلال
نفعل ما يفعل السّجناء

وأحيانا يكون نضال درويش طلبا لتحقيق مطلب الكلي بما فيه من عيش مشترك من خلال الدعوة الموجهة للغُزاة إلى الكفّ عن الغزو، وقد كانت في خطابه نبرة لوم وعتاب وتقريع إذ يقول في نفس القصيدة:

أيّها الواقفون على العتبات
ادخلوا
واشربوا معنا القهوة العربية
قد تشعرون بأنكم بشر مثلنا

فقد كان مطلب درويش وشعبه ممارسة اليومي بما فيه من شرب القهوة وتصفح للجرائد ولعب ولهو في سلام، يقول في

> "أحيانا يكون نضال درويش طلبا لتحقيق مطلب الكلي بما فيه من عيش مشترك"

محمود درويش
Daily Sabah

نفس القصيدة:

أيها الواقفون على عتبات البيوت
اخرجوا من صباحاتنا
نجد الوقت للتسلية
نلعب النّرد، أو نتصفح
أخبارنا
في جرائد أمس الجريح

هذا اليومي الذي هو بالنسبة إلينا مـمـل هو مطلب وطموح وغاية للفلسطيني الذي يختزل اليومي عنده في الغزو والقصف والدمار والجوع والعراء ...

ورغم كل هذه المعاناة، يسعى درويش لإثبات هويّته والدفاع عن نفسه ضدّ الاضطهاد الذي يصبّه الصّهاينة على الإنسان العربي من خلال التقزيم والتجريد من القيمة بالتالي لا يمكننا أن نتحدّث عن الكلي فيما يتعلّق بالهوية لأنّ الفلسطيني يعتبر أنّها قيمة مسلوبة منه وهو في وطنه، وهذا ما أشار إليه درويش في قصيدة "سجّل أنا عربي" يقول:

سجل
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألف
وأطفالي ثمانية...

بهذا المعنى يظهر درويش الذي يمثّل نموذجا للفلسطيني، الذي يحسّ بالدونيّة وفقدان أبسط حقوقه داخل وطنه. يظهر ذلك منذ أول قصيدة قالها وهو طالب بالصف الثامن بمناسبة إقامة دولة إسرائيل، وقد كانت بمثابة الصرخة من طفل عربي إلى طفل يهودي: " يا صديقي بوسعك أن تلعب تحت الشمس كما تشاء. بوسعك أن تصنع ألعابا لكنني لا أستطيع. أنا لا أملك ما تملكه. لك بيت وليس لي بيت، فأنا لاجئ. لك أعياد وأفراح وأنا بلا عيد"... فدرويش هنا يدعو إلى الكوني والانفتاح على الآخر الذي يقصيه ويلغيه ويعامله كعدو.

** قُدّمت هذه المداخلة في إطار أنشطة "المقهى الفلسفي" بدار الثقافة ابن خلدون المغاربية*

> "
> *هذا اليومي الذي هو بالنسبة إلينا ممل هو مطلب وطموح وغاية للفلسطيني*
> "

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: @tounesaf